

سمات المنهج البدعي

الكاتب
إبراهيم بن خالد المخلف



السبب الثاني : توافق المبتدعة في العلامات والسمات والمناهج غالباً :

إن من ينظر أحوال أهل البدعة يرى الفارق الكبير بينهم وبين أهل السنة والجماعة فقد ظهر فيهم سمات وعلامات سلوكية ، وعقدية ، وتعبدية ، وأخلاقية ، بل وعلمية ميَّزتهم عن أهل السنة وهي في الغالب منهم ، وكثمرة للاتصاف بهذه السمات والعلامات أصبح لهم مناهج خاصة بهم زادت من تميزهم عن أهل السنة سواءً في التعامل مع النصوص ، أو في تقرير عقائدهم ، وفي الدعوة إليها ، وكذلك في التعامل مع غيرهم .

وهذه السمات وتلك المناهج اجتمع عليها أكثر المبتدعة والأغلب منهم لا في جميعهم ، فقد تختلف فرقة منهم في مدى اتصافها بتلك السمات ، ومدى اعتمادها على تلك المناهج ، ثم إن هذه الأحكام لا تشمل جميع أشخاصهم لكنهم اتصفوا بها جملة[1].

---

(١) انظر : مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع وأصولهم وسماتهم لناصر العقل ، ص ٩-١٠ دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ.

أما السمات والعلامات فأبرزها إجمالاً : إتباع الهوى والظنون ، والجهـل ، والغلـو ، والتعصب ، والخصومة والتفرق ، والمعاداة ، والخروج عن السـنة والجماعـة ، والتنـاقض والاضطراب والحيرة .

فأما الهوى :

فهو " كل ما خالف الحق ، وللنفس فيه حظ ورغبة من الأقوال والأفعال والمقاصد "[1] وإذاً فكل ما مالت إليه النفس من الشهوات أو الشبهات فهو هوى ، وإتباعه من أصل الضلال كما قال شيخ الإسلام[2]، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ﴾ [القصص : ٥٠]. وقال تعالى : ﴿ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ﴾ [سورة الجاثية : ٢٣].

وإتباع الهوى والظن أبرز سمة من سمات أهل الأهواء ، وهو علامة عليهم ، بـل هـو قاسم مشترك بين جميع أهل الضلال والباطل من المشركين والكفار وأهل الافتـراق ؛ لأنهـم اتصفوا ببعض خصال الكفار[3]، فهم ما اخترعوا ما اخترعوه ، وتمسكوا بما وجدوه ممـا هـو مخالف للسنة إلا إتباعاً للهوى ، حفظاً لشهوةٍ ، أو طمعاً في كسب مادي ، أو تعنتاً في مواجهة الخصوم ، أو خوفاً من تحمل مسئوليات التغيير ، أو مخالفة العرف[4].

وقد اشتهر عند أهل السنة تسمية أهل البدع بأهل الأهواء في كثير من آثارهم ، بـل جاء في الحديث المشهور عن رسول الله ﷺ أنه قال : (ألا وإنه يخرج من أمتي قوم يهـوون هوى يتجارى بهم ذلك الهوى كما يتجارى الكلب بصاحبه ... الحديث)[5].

---

(١) الهوى وأثره في الخلاف لعبد الله الغنيمان ، ص ١٢ ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ..

(٢) انظر : مجموع الفتاوى ٣/٣٨٤ .

(٣) انظر : مناهج أهل الأهواء والافتراق والبدع وأصولهم وسماتهم لناصر العقل ، ص ١٢ .

(٤) انظر : البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها لعزت عطية ، ص ٢٣٩-٢٤١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٠هـ .

(٥) أخرجه أبو داود في سننه – كتاب السنة – باب شرح السنة ٤/١٩٨ ، حديث (٤٥٩٧) .
والحاكم في المستدرك – كتاب العلم ١/١٢٨ ، وصححه ووافقه الذهبي .
وصححه الألباني في صحيح أبي داود ٣/٨٦٩ .

وقال ابن القيم : " وكان السلف يسمون أهل الآراء المخالفة للسنة وما جاء به الرسول في مسائل العلم الخبرية ، وأهل مسائل الأحكام العلمية يسموهم أهل الشبهات والأهواء ؛ لأن الرأي المخالف للسنة جهل لا علم ، وهوى لا دين ، فصاحبه ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، وغايته الضلال في الدنيا والشقاء في الآخرة "[1].

وتسمية المبتدعة بأهل الأهواء جاءت على وجهتين :

١- الجهة الأولى : أهم لم يأخذوا الأدلة الشرعية مأخذ الافتقار إليها ، والتعويل عليها حتى يصدروا عنها ، بل قدموا آرائهم واعتمدوا على أهوائهم ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظوراً فيها وراء ذلك[2].

٢- الجهة الثانية : أن الابتداع هو إتباع الهوى ؛ لأن العقل إذا لم يكن متبعاً للشرع لم يبق له إلا الهوى والشهوة بدليل قوله تعالى : ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [سورة ص : ٢٦]. فحصر الحكم في أمرين لا ثالث لهما عنده وهما الحق والهوى[3].

وأهل الأهواء يجمعون بين إتباع الهوى وإتباع الظن وهما متلازمان كما قال ابن القيم رحمه الله:" إن الكلام في الدين نوعان : أمر وخبر فما عارض الأمر كان من باب الهوى الذي يأمر به الشيطان والنفس ، وما عارض الخبر كان من باب الظن والخرص الذي هو أكذب الحديث، وهؤلاء لا تجدهم إلا وقد جمعوا بين الأمرين ، فهم في الإرادات تابعون لأهوائهم ، وفي الاعتقادات تابعون لظنوهم ، قال تعالى : ﴿ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴾ [4][سورة النجم : ٢٣].

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان لابن قيم الجوزية ١٣٩/٢ ، دار المعرفة ، بيروت — لبنان .

(٢) انظر : البدعة تحديدها وموقف الإسلام منها لعزت عطية ، ص ٢٣٩ .

(٣) انظر : الاعتصام لأبي إسحاق إبراهيم الشاطبي ٥١/١ ، مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض .

(٤) الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية ١٢١٠/٤ ، تحقيق : علي الدخيل الله ، دار العاصمة الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

وعلى ما تقدم فما دام أن قاعدة الانطلاق عند المبتدعة كلهم (الهوى) فلا غرابة أن تختار كل فرقة ، أو كل شخص منها ما يناسب هواه ، ويستميل مزاجه من عقائد الفرق الأخرى ، وخاصة إذا علمنا أن الهوى المضاد للهدى قد يكون هوى الإنسان نفسه ، وقد يكون هوى لغيره وهو يتبعه(١).

أما الجهل :

وهذه السمة في المبتدعة لا تقل عن سابقتها ، بل هي الأصل الثاني من أسباب الضلال كما قال تعالى : ﴿ فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَاوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾ [سورة المائدة : ١٤] . والجهل الذي اتسم به المبتدعة كان بنقص العلم الشرعي عندهم من جهة ، وكان بعدم وجود العلم النافع من جهة أخرى(٢)، ولعل هذا ظاهر في رؤوس أهل البدعة فلم يخلو حالهم من أن يكونوا جاهلين بعلوم الشريعة ومصادر الأحكام وخاصة السنة(٣)، أو أنهم أهل علمٍ غير نافع كعلم الكلام والفلسفة ونحوه ، وهذا كله جهل .

وأما العوام منهم فقد جمعوا بين العجز عن البحث والنظر للوصول إلى الحق وبين اعتقاد ما يخالف ذلك واتباع كل ناعق والسير وراء كل شعار مرفوع ، فهم فقدوا العلم وفقدوا الفطرة السليمة والعقل البدهي حتى غدوا غير قادرين على رؤية الحق مع وضوحه وجلائه(٤).

وقد عرض العلماء لفروع جهل المبتدعة عموماً ، وهي بإجمال :

- الجهل بنصوص الكتاب والسنة وما دلا عليه ، والجهل بآثار السلف - رحمهم الله- ، حتى صار أهل البدعة ينصرون مقالات يظنونها من دين الإسلام وليست منه ، وما وضعوه من معارضة بين العقل والوحي وما ترتب على ذلك من بدع إنما كان بجهل كما قال ابن القيم رحمه الله:" إن هذه المعارضة بين الوحي والعقل نتيجة جهلين عظيمين ، جهل بالوحي وجهل بالعقل "(٥).

---

(١) انظر : إغاثة اللهفان ١٣٩/٢ .

(٢) انظر : مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم لمحمد العبده وطارق عبد الحليم ، ص ١٠١ ، دار الأرقم ، الكويت ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٦هـ .

(٣) انظر : علم أصول البدع لعلي حسن الأثري ، ص ٤٣-٤٤ ، دار الراية ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

(٤) انظر : مقدمة في أسباب اختلاف المسلمين وتفرقهم ، ص ١٠٦-١٠٧ .

(٥) الصواعق المرسلة ١٢٠٨/٤ .

ولهذا صار شعار أهل البدعة ترك الآثار ، وأهل السنة يرون أنهم على الطريق ما كانوا على الأثر[1].

- ومن ذلك جهلهم بعقيدة السلف ، ومن هنا فضل سائر المبتدعة عقيدة الخلف على عقيدة السلف ، فجمعوا بين الجهل بطريقة السلف والكذب عليهم ، وبين الجهل بتصويب طريقة الخلف كما قال ابن القيم[2]. وهذا الجهل واضح في كثير من مؤلفات المبتدعة التي عرضوا فيها لمقالات الناس في العقائد تجد أن منهم من لا يعرض لطريقة أهل السنة الصحيحة جهلاً بها ، وقد يعرض عقائد فاسدة وينسبها لأهل السنة وهي في الحقيقة لأشياخه من المبتدعة[3].
- ومن ذلك جهلهم بمقاصد الشريعة ، والتخرص على معانيها بالظن من غير تثبت[4].
- ومنه جهلهم بأساليب اللغة وكلام العرب ، ولهذا يلاحظ أن البدعة تمكنت من قلوب العجم أكثر منها في قلوب العرب ، ولهذا طمع فيهم أهل الأهواء أكثر من غيرهم[5].
- ومنه الجهل بقواعد العلوم وأصولها كالمطلق والمقيد ، والعام والخاص ، والناسخ والمنسوخ والمجمل والمبين[6].
- ومن جهلهم الإعراض وعدم التصديق بالحق ، وهذا من أعظم أسباب الغواية ، ولهذا فما من فرقة من الفرق إلا ونجدها كذبت بشيء مما جاء عن الله تعالى ، إما برد لفظه ومعناه كما هو عند غلاة الفرق ، أو رد معناه ، أو ترك العمل به ، وكل هذه أنواع للإعراض والتكذيب[7].

فهذه أبرز معالم الجهل عند المبتدعة ، وهو من أعظم سماهم ، وهذا كان له دور في التأثر بالبدع من ثلاث جهات :

---

(١) انظر : حقيقة البدعة وأحكامها لسعيد الغامدي ١/١٧٦ .

(٢) انظر : الصواعق المرسلة ١/١٦٤-١٦٥ ، والأهواء والفرق والبدع عبر التاريخ لناصر العقل ، ص ١٤٨ .

(٣) انظر : الفرق بين الفرق للبغدادي ، ص ٣٥٩ إلى آخر الكتاب .

(٤) انظر : الاعتصام للشاطبي ١/٢٤٥ .

(٥) انظر : مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع ، ص ١٢٠.

(٦) انظر : الاعتصام ١/٢٤٥ .

(٧) انظر : مجموع الفتاوى ٢٠/١٠٥ .

١- أن المبتدعة دأبوا على تتبع الجهال من الناس و لم يكثر سواد المبتدعة إلا الرعاع والجهلة من العوام ، وسمة الجهلة هؤلاء أنهم يتبعون كل ناعق ، ويميلون مع كل ريح[1].

٢- أن هؤلاء الجهال أخذوا يطلبون العلم من غير أهله فيطلبونه من أهل الأهواء والبدع فيخرجون بفساد الدين والدنيا[2].

٣- أضف على ذلك أن بعض من يترك ما كان عليه من بدع بعد أن يمجها ويمقتها ، أنه إذا كان جاهلاً بمذهب السلف ، فإنه يكتفي بالانتقال إلى أي مذهب آخر يعادي مذهبه الأول وينقض منهجه ، وهذا أدى إلى اتصال الفرق ببعضها .

الغلو :

وأما الغلو فهو أيضاً سمة واضحة في المبتدعة على اختلافهم في الأشياء التي تبرز غلوهم فيها .

فمنهم من ظهر غلوه في الدين والعبادة حتى خرج عن المنهج النبوي في العبادة لله تعالى. ومن ذلك غلو الخوارج الذين غلو في العبادة والإيمان حتى تولد من غلوهم توسيع دائرة التكفير وذلك حين كفروا المسلمين بكل ذنب ، وفي المقابل تضييق دائرة الإسلام فقد أصبحوا يرون أنه لا مسلم على وجه الأرض إلا من كان على نهجهم .

ويلحق بهذا أيضاً غلو الصوفية في الانقطاع للعبادة ، والمبالغة في الزهد والتقشف وإرهاق النفس بحرمانها من كل مباح تحتاجه ، وهكذا .

ومنهم من ظهر غلوه في تعظيم الأشخاص ، كتعظيم الأئمة عند الشيعة حتى وصل عند بعضهم إلى أن رفعوهم إلى منزلة الإله ، وكتعظيم الأولياء عند الصوفية مثلاً .

---

(١) انظر : شرح السنة للبربهاري ، ص ٤٤ .

(٢) الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام لناصر العقل ، ص ١٢٠ وما بعدها ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

ومنهم من ظهر غلوه في العقل البشري ، وفي تفكيره واجتهاده وما يؤدي إليه ذلك التفكير العقلي من نتائج في الدين ، حتى صار العقل عند هؤلاء حاكماً بإطلاق، وهذا الغلو ظاهر في المتكلمين ابتداءً من الجهمية ثم المعتزلة ثم الأشاعرة[1] والماتريدية[2] .

هذه أبرز معالم الغلو عند المبتدعة ومدى تأثيره في الاتصال بين عقائد الفرق .

إن من كان له ميل إلى التنطع والتشدد تجده يميل إلى الخوارج في النظر إلى المقصرين في الأعمال مثلاً ، وتجد له أيضاً ميل إلى غلو الصوفية وزهدهم وهكذا .

ومن اعتاد تأليه البشر أو طائفة منهم ، وجرى هذا في دمه تجد له ميل إلى التشيع حتى وإن كان من فرقة أخرى ، يوجد أفراد من المعتزلة مثلاً يميلون إلى تفضيل علي رضي الله عنه والقول بإمامته وما هذا — والله أعلم — إلا لأن بيئتهم قد اعتادت قبل الإسلام تأليه البشر.

وإن كان ممن تستهويه الأهواء ويميل إلى العقليات تجده يميل إلى أهل هذه النزعة من المعتزلة وغيرهم ، ويفتتن بهم ؛ لأنه يشعر أنه يمارس هواية ويستلذ بها ويستغرق فيها[3]، وهذا واضح في كثير من الفرق التي تأثرت بالنزعة العقلية .

---

(١) الأشاعرة : طائفة كلامية تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري بعد رجوعه عن مذهب الاعتزال ، قالوا : بإثبات سبع صفات فقط لدلالة العقل عليها ، وهي السمع والبصر والعلم والكلام والقدرة والإرادة والحياة ، وقالوا إن كلام الله هو المعنى القائم بالذات والعبارات والحروف دلالات عليها فقط ، والإيمان عندهم هو التصديق بالقلب والعمل من فروعه لا من أصله .

انظر : الملل والنحل للشهرستاني ٩٤/١ ، والفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ٤/٣ ، ١٠٦ .

(٢) الماتريدية: طائفة كلامية تنسب إلى أبي منصور الماتريدي ، يوافقون الأشاعرة في كثير من أصولهم ، ويثبتون سبع أو ثمان صفات فقط ، ويقولون بأن كلام الله نفسي ، وأن القرآن حكاية عن كلام الله تعالى ، ويقولون أن الإيمان تصديق القلب فقط .

انظر: أصول الدين — لأبي الحسن البزدوي ص٢ — تحقيق: هانز بيتر لنس — طبعة مصطفى حلبي — مصر — الطبعة الأولى ١٣٨٣هـ.

والماتريدية دراسة وتقويماً — لأحمد بن عوض الله الحربي — دار الصميعي — الرياض — الطبعة الثانية ١٤٢١هـ.

(٣) انظر : الأهواء والفرق والبدع ، ص ١٨٢ .

وأما التعصب :

فإن المفارقين للسنة مغالون في التعصب للأشخاص بلا علم ولا عدل ،ومغالون في التعصب لبدعتهم وهذا من تزيين الشيطان لهم تلك الأهواء ، ومن خذلان الله لهم كما قال تعالى : ﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾ [سورة فاطر: ٨].

وظاهرة تعصب المبتدعة لشيوخهم جرَّهم إلى تقليدهم التقليد الأعمى في كل قول وفعل، ثم تعدى ذلك حتى وصل إلى المفاخرة والتباهي بمن ينتسب إليه ، والطعن والإزراء والتنفير عن الآخرين وهذا كثير موجود في كل فرقة من الفرق لا ينكره إلا من هو منهم في غفلة[١].

يقول شيخ الإسلام رحمه الله :" ليس لأحد أن ينصب للأمة شخصاً يدعوا إلى طريقته ويعادي عليها غير النبي ﷺ ، ولا ينصب لهم كلاماً يوالي عليه ويعادي غير كلام الله ورسوله ، وما اجتمعت عليه الأمة بل هذا من فعل أهل البدع الذين ينصبون لهم شخصاً أو كلاماً يفرقون به بين الأمة ، يوالون به على ذلك الكلام أو تلك النسبة ويعادون"[٢].

فالتعصب والتقليد الأعمى هو طريقة أهل الفرقة حتى صاروا عند الاختلاف يقولون نتمسك بقول من قلدناه ، ونقدمه على كل ما عداه ، وهذا من أعظم البدع وأقبح الحوادث كما قال ابن القيم رحمه الله[٣].

والتقليد الذي عليه أهل البدعة هو التقليد المذموم وهو القائم على أمرين :

١- القائم على غير حجة وبرهان .

٢- القائم على حجة وأصل لكنها حجج وأصول باطلة كأقوال الأئمة المزعومة ، أو الحجج العقلية المخالفة ونحوها[٤].

(١) انظر : الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد لمحمد بن علي الشوكاني ، ص ٢٨-٢٩ ، دار ابن خزيمة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

(٢) مجموع الفتاوى ١٦٤/٢٠ .

(٣) انظر : رسالة التقليد ، تحقيق: محمد عفيفي ، ص ٥٩-٦٠ .

(٤) انظر : التقليد في الشريعة الإسلامية لعبد الله عمر الشنقيطي ، ص ٨٢ وما بعدها ، دار البخاري ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

وقد نتج عن التعصب المذموم والتقليد الأعمى نتائج خطيرة منها:

أ. ادعاء العصمة للمتبوع والمقلد سواء نص على ذلك أو لا (1).

ب.عدم قبول الحق ورده إذا جاء من المخالف (2).

ج. حرص أهل الأهواء على التعلق ببدعتهم والدعوة إليها والتفاني في ذلك(3).

وهذا التعصب فتح باب الاتصال بين الفرق من حيث أن أهل كل بدعة تعصبوا لها واستفادوا من غيرهم ما يعضد تلك البدعة ، فأهل التعطيل تعصبوا لها واستفادوا من غيرهم ما يعضد تلك البدعة ، فأهل التعطيل تعصبوا وفتحوا باب الاستفادة من الموافق لهم في هذه البدعة من الفرق الأخرى فاستفاد الأشاعرة من بعض أدلة المعتزلة على ذلك مثلاً .

فتجد أن الفرق الأخرى التي تبنت التعطيل قد استدلت بأدلة المعتزلة وشبههم ، وتجد الذين تبنوا عقيدة نفي القدر استفادوا من بعضهم ، بل وأطلقوا على أنفسهم اسماً يشملهم حيث تسموا (بأهل العدل) وتسمى المعطلة(4) (بأهل التوحيد) مع أنهم من فرق شتى ، وقس على ذلك الذين اجتمعوا على الإرجاء في باب الإيمان تجد أن أدلتهم واحدة ، وكل يأخذ بقول الآخر وهكذا .

وأما الفرقة :

فالمبتدعة أهلها ، وهذه الفرقة هي التي نبه الله عليها في قوله : ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ﴾[سورة آل عمران : ١٠٥] .

---

(1) انظر : وجوب لزوم الجماعة وترك الفرق لجمال الشيربادي ، ص ٢٢٧ ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

(2) انظر : الأهواء والفرق والبدع ، ص ١٨٥ .

(3) انظر : الاعتصام للشاطبي ، ٢/ ٢٣٠-٢٣٣ .

(4) المعطلة: هم الذين أنكروا صفات الله أو بعضها، ونفوا معاني نصوص الكتاب والسنة الدالة عليها بحجة أن إثباتها يقتضي التشبيه والتجسيم بزعمهم ، وهم فرق شتى كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة.

انظر: والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٥٧ – ٩٧ ، وشرح العقيدة الواسطية لمحمد خليل هراس ص ٢١.

وهذا التفريق هو الذي يصيِّر الفرقة الواحدة فرقاً والشيعة الواحدة شيعاً كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [سورة الأنعام : ١٥٩] . فهم أصحاب البدع والضلالات والكلام فيما لم يأذن به الله تعالى .

وافتراق المبتدعة يبدأ من خروجهم عن السنة والجماعة في أصل من أصول الدين القطعية أو أكثر سواء كانت الأصول اعتقادية ، أو عملية متعلقة بالقطعيات أو متعلقة بمصالح الأمة العظمى فكل هذا افتراق ، وهذا هو الذي تمثل في المبتدعة فصاروا أهله(١).

ثم إنهم بعد هذا الافتراق عن أهل السنة وأصولهم جعلوا الافتراق فيما بينهم فانقسموا على أنفسهم فصاروا فرقاً ، وانقسمت في داخلها فصارت إلى عشرات الفرق وبقي هذا التفرق ولا يزال إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

ولابد من ملاحظة أمر مهم هنا وهو : أن الافتراق الذي عليه أهل البدعة لا يمت بصلة إلى الخلاف الذي وقع بين أهل السنة ، وذلك أنه وإن كان الافتراق ثمرة من ثمار الخلاف ، وهو أشد أنواعه إلا أنه اختلاف وزيادة وهو متميز على اختلاف أهل السنة بأمور منها :

١- أن الافتراق لا يكون إلا على أصول كبرى لا يسع فيها الخلاف ، بعكس الخلاف فيكون فيما دون الأصول والقطعيات ، مما يقبل التعدد في الرأي من المسائل العملية ، ويخضع للاجتهاد العقلي الجاد ، وتكون له مسوغات عند قائله أو يحتمل فيه الجهل والإكراه والتأول ونحوه ، حتى لو كان في بعض الأصول لتي يعذر فيها بالعوارض عند المعتبرين من أئمة الدين أو في فروع العقيدة(٢).

فأهل الأهواء والبدع خالفوا في الأصول الكبرى التي لا يسع فيها الخلاف كالتوحيد والإيمان والقدر والغيبيات ، وخالفوا في مهمات الدين الكبرى كالإمامة وهكذا ، ومن هنا كان ما عندهم افتراق تميزوا به عن أهل السنة وصاروا سمة لهم وعلامة عليهم .

---

(١) انظر : الافتراق مفهومه ، أسبابه لناصر العقل ، ص ٦ ، دار المسلم ، الرياض ، الطبعة الأولى .

(٢) انظر : الافتراق للعقل ، ص ٨-٩ ، وفقه الخلاف مدخل إلى وحدة العمل الإسلامي لجمال سلطان ، ص ٢٨ ، طبعة مركز الدراسات الإسلامية ، برمنجهام – بريطانيا ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

٢- دوافع الافتراق تبتعد عن دوافع الخلاف ، فالافتراق أملاه الهوى الذي هو منبت كثير من الأخطاء وحشدٍ من الانحرافات ، ولا يقـع الإنـسان في شباكه حتى يزين له كل ما من شأنه الانحراف عن الحق ، والاسترسال في سبيل الضلال ، وبهذا يمكن رد خلاف الملل والنحل ودعاة البدع في ديـن الله إلى آفة الهوى ، بدليل أن موضع الخلاف عندهم مناقضة لصريح الوحي من كتاب وسنة ، ومصادمته مع مقتضيات العقول السليمة وهذه لا يمكن أن يكون لها مصدر غير الهوى[١].

أما دوافع الاختلاف فكثيرة والواحد منها كاف للاعتذار عن الاختلاف ، وإعذار المخالف مثل : عدم بلوغ الدليل إلى المخالف ، أو أن الـدليل لم يثبت عند المخالف ، أو فهم غير المراد من الدليل ، أو أن دليله قد نـسخ ولم يعلم بنسخه ، أو اعتقاد معارضة الدليل بما هو أقوى أو الاعتماد على حديث ضعيف لم يعلم ضعفه[٢]، وغيرها من الأسباب الـتي دفعتـه إلى المخالفة وهو في هذا كله لا يريد إلا الوصول لما غلب على ظنه أنه الحـق ولم يكن دافعه الهوى .

٣- طرق الافتراق ووسائله تبتعد عن طرق ووسائل الخلاف ، فالافتراق قائم على الجدل الموصل إلى وضع وتقرير ما يراد ولو كان باطلاً ، وهـدم أي وضع يراد ولو كان حقاً ، ويقوم على الـشقاق الـذي يعقبـه الـتراع والخصومة[٣]، وكلها مذمومة شرعاً .

(١) انظر : أدب الاختلاف في الإسلام لطه جابر العلواني ، ص ٢٦-٢٨ ، الدار العالمية للكتاب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ .

(٢) انظر : رفع الملام عن الأئمة الأعلام لشيخ الإسلام ابن تيمية ، ص ٤ وبعدها ، دار الدعوة السلفية ، طبعة عام ١٤١٣هـ ، والخلاف بين العلماء أسبابه وموقفنا منه لابن عثيمين ، ص ٨ وبعدها ، مؤسسة أسامة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

(٣) انظر : أدب الاختلاف في الإسلام ، ص ٢٢-٢٣ .

أما الاختلاف فله آدابه وقواعده من الإخلاص والرجوع إلى كتاب الله والسنة والتزام الحوار بالتي هي أحسن واعتبار المآلات والنظر في المقاصد ومراعاة عوارض الجهل والإكراه والتأويل أحياناً والإنصاف ونحوها[1].

ومن هنا كان ما عليه المبتدعة افتراق لأنه يقوم على الخصومة والتراع والمفارقة والجدل فهو ميزة لهم وعلامة وسمة .

وهذا الافتراق من أهل الأهواء كان سبيلاً للاتصال من حيث أن كل فرقة حين انقسمت على نفسها وصارت إلى عشرات الفرق أصبح من فرقها من يخالف أصول تلك الفرقة ، وربما وافقت غيرها من الفرق وأخذت بقول تلك الفرقة وأقوالها حتى تنصر تلك المخالفة ، ومن هنا ظهر في المرجية قدرية ، وفي المعتزلة مرجئة وفيهم شيعة بل وفيهم أيضاً جبرية .

الحيرة والاضطراب والتناقض في عقائدهم :

إنه لا يكاد يستقر صاحب بدعة على أمر بل المبتدعة أصحاب اضطراب وشك وحيرة وتلون ، وهذه السمة غالبة في المبتدعة فالفرقة الواحدة منهم لا تستقر على رأي أو عقيدة ، وإن اجتمعت على بعض الأصول[2]، والأمثلة على ذلك كثيرة ، ومنها: الشيعة فإنهم كانوا مجسمة في باب الصفات ثم انقلبوا إلى معطلة فهذا مثال ، وكل الفرق تبدأ بأصول واحدة ثم ما تلبث أن تصير فرقاً شتى عقائدها متناقضة مرة تجمع بين التمثيل والتعطيل ، وأخرى بين نفي القدر والقول بالجبر وبين الغلو في الوعيد والإرجاء وهكذا .

ولو أمعنا النظر في بعض رؤوس البدعة وكبرائها لرأينا كيف تقلبوا في عقائدهم ، فهذا أبو الحسن الأشعري كان معتزلياً ثم انقلب كلابياً ، ثم إلى مذهب أهل السنة في الجملة مع ما

---

(١) انظر : الإنصاف سبيل للائتلاف واجتماع الكلمة لعبيد الشعبي، ص ٢٩ وبعدها ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ . والعلم أصوله ومصادره ومناهجه لمحمد الخرعان ، ص ٩٥ ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

(٢) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ٧٩ . وحكم مخالفة منهج أهل السنة في تقرير مسائل الاعتقاد لعثمان حسن ، ص ٤٠-٤١ ، دار الوطن ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .

بقي معه من لوثات الكلام ، وهذا الرازي والجويني يعترفان بحيرتهم وينتج عن هذا تقلبهم حتى انتهى بهم المطاف إلى التسليم بمذهب أهل السنة جملة[1].

والسبب الرئيس في تناقضهم وحيرتهم هذه هو : أنه ليس عندهم قطعيات ولا يقين في حقيقة الأمر ، بل عقائدهم مبنية على الأهواء والظنون والأوهام وعلى مقدمات بنيت على أمور تقبل التغيير والاستحالة[2]، ومن هنا لم يكن للمبتدعة صبر ولا يقين حتى يثبتوا على قول واحد فيها[3].

وهذا التقلب الناتج عن الحيرة كان سبباً في اتصال الفرق ، فإن المخالف لفرقته حين يتركها جملة أو يترك بعض أصولها لأنها لم توافق هواه ، و لم يتفق مع تفكيره ، فإنه يقلب بصره يمنة ويسرة ينظر ما عند غير فرقته من أقوال فيأخذ ما يناسبه ويدخله على فرقته ويتبعه في ذلك بعض أهل تلك الفرقة وهكذا .

والعجيب أن الغالب في المبتدع أنه إذا تأصلت فيه البدعة لا يرجع عنها إلا إلى شر منها، ولا يهتدون للحق إلا ما رحم ربك وقليل ما هم ، وهذا مصداق قوله تعالى : ﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [سورة الأنعام : ١١٠] .

وقوله ﷺ: (إن الله احتجر التوبة عن كل صاحب بدعة)[4].

لعل هذه أهم علامات وسمات أهل الأهواء بينت فيها كيف أدت إلى الاتصال فيما بينهم .

وأما المناهج التي توافق فيها المبتدعة :

فأولاً : منهجهم في التعامل مع النصوص ومنهج الاستدلال عندهم له ملامح عامة أهمها:

١- عدم حصر الاستدلال في الدليل الشرعي (الكتاب والسنة) حتى في العقائد فإنهم يستدلون بالظنيات والأوهام والفلسفات وهي ما يسمونه عقليات ، أو يستدلون

---

(١) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ٨١ .

(٢) انظر : درء التعارض ٣/٣٠٤ .

(٣) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ٨٨ .

(٤) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير برقم (١٦٦٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢/٨٨ برقم (١٦٩٥) .

بما لا أصل له من الموضوعات ، ويستدلون بآراء الرجال في دين الله ، وما يسمونه بالكشف والذوق والمنامات[1].

٢- يردون ما لا يوافق أصولهم وأهواءهم من نصوص الشرع ، فالقدرية ردت أحاديث القدر ، والجهمية والمعتزلة ردت أحاديث الصفات ، وأحاديث الرؤية والشفاعة والرافضة ردت سائر السنة التي رواها الصحابة ، وكما فعلت الصوفية[2] بأحاديث النهي عن البدع[3]، قال شيخ الإسلام ابن تيمية : " وأهل الكلام الذين ذمهم السلف لا يخلو كلام أحد منهم عن مخالفة السنة ورد لبعض ما أخبر به الرسول ﷺ كالجهمية والمشبهة[4] والخوارج والروافض والقدرية والمرجئة"[5].

وإذا استدلوا بنصوص الشرع فإنما يستدلون بالأحاديث الموضوعة المكذوبة ويعتمدون على الأسانيد التي لا تصلح في سبيل تأييد أهوائهم ، كما قال شيخ الإسلام : " وأما أهل الأهواء ونحوهم فيعتمدون على نقل لا يعرف له قائلٌ أصلاً ، لا ثقة ولا معتمد ، وأهون شيء عندهم الكذب المختلق"[6].

٣- ومن مناهجهم في الاستدلال تحريف الكلم عن مواضعه ، فيستدلون بالدليل في غير ما يدل عليه ، ويبترون الأدلة حسبما يوافق هواهم ، ويأخذون الدليل ويتجاهلون ما يعارضه أو ما يخصصه أو يبينه أو يقيده [7].

---

(١) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ١٦ . والأهواء والفرق ، ص ١٠٦ .

(٢) الصوفية : طائفة من أهل البدع تنتحل الزهد والتعبد ، ينسبون إلى لبس الصوف – على الراجح – لكثرة لبسهم له ، وهم طوائف مختلفة يجمعهم الزهد البدعي والتعبد لله بما لم يشرع من الرقص والسماع والأذكار البدعية وغير ذلك . انظر: اعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ، ص ٩٢ ، وكتاب إحسان إلهي ظهير التصوف المنشأ والمصدر .

(٣) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ٢١-٢٢ . وحجية السنة لعبد الرحمن عبد الخالق ، ص ٢٥٥ .

(٤) المشبهة: هم الذين شبهوا الله بخلقه فقالوا: له يد كيد المخلوق تعالى الله عن ذلك ، وأل ظهور التشبيه كان على يد الرافضة ، والمشبهة صنفان: صنف شبهوا ذات الله بذات غيره ، وصنف شبهوا صفاته بصفات غيره .
انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١١٨/١ ، رسالة في الرد على الرافضة – لأبي محمد محمد المقدسي ص ١٦٥ – تحقيق: عبدالوهاب خلبل الرحمن – الدار السلفية – الهند – الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ.

(٥) درء التعارض ١٨٢/٧ .

(٦) مجموع الفتاوى ٤٧٩/٢٧ .

(٧) انظر : الأهواء والفرق ، ص ١٢٨ .

٤- التأويل وهو من أهم ما يعتمدون عليه في الاستدلال ، فإنهم يلجأون إليه في مصادمة النصوص وردها رداً صريحاً .

والتأويل باب ولجت منه جميع الفرق الباطلة لهدم أصول الإسلام ، فالمعطلة من الجهمية والمعتزلة والأشاعرة والماتريدية ومن وافقهم من متأخري الفرق كالإمامية والزيدية من الشيعة والأباضية من الخوارج أنكروا الأسماء والصفات ، أو الصفات ، أو بعض الصفات تحت شعار التأويل لنصوصها .

والرافضة والباطنية وغلاة الصوفية والفلاسفة[1] هدموا قواعد الدين وأركانه بالتأويل وهكذا[2].

٥- إتباع المتشابه وعدم رده إلى المحكم[3]، وربما جعلوا المحكم متشابهاً ، وقد انطبق عليهم قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ﴾ [سورة آل عمران : ٧].

مثال ذلك : رد الجهمية النصوص المحكمة الدالة على أن الله تعالى موصوف بصفات الكمال ، ونعوت الجلال من العلم والقدرة والوجه واليدين وغيرها ، وعمدوا إلى بعض ما اشتبه عليهم من النصوص مثل قوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ﴾ [سورة الشورى : ١١] فردوا الآيات المحكمات في الصفات وجعلوها من المتشابه ، وردت القدرية النصوص المحكمة في قدرة الله على خلقه ، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وأنه خالق العباد وأفعالهم بما تشابه عندهم من قوله تعالى : ﴿ وَلَا

---

(١) الفلاسفة : طائفة ينسبون إلى الفلسفة ، وهي كلمة يونانية الأصل مركبة من لفظين هما : (فيلا) : أي محب ، و(سوفيا) : أي الحكمة ، فمعناها : محب الحكمة ، من معتقداتهم الفاسدة : القول بقدم العالم وإنكار علم الله تعالى وإنكار النبوات وإنكار البعث وحشر الأجساد ، وغير ذلك .

انظر : الملل والنحل للشهرستاني ٣/٢ ، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ، ص ٩١ . وإغاثة اللهفان لابن القيم ٢٥٦/٢ .

(٢) انظر : الأهواء والفرق ، ص ١٣٠ ، تحريف النصوص من مآخذ أهل الأهواء في الاستدلال لبكر أبو زيد ، ص ٤١ ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

(٣) انظر : ذم التأويل لموفق الدين بن قدامة المقدسي ، تحقيق : بدر البدر ، ص ٣٥ وما بعدها ، دار الفتح ، الشارقة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ .

يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [سورة الكهف : ٤٩] ، ورد الجبرية[1] النصوص المحكمة الدالة على إثبات كون العبد قادراً مختاراً فاعلاً بمشيئة بما تشابه عندهم من قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ﴾ [سورة الإنسان : ٣٠] ، ورد الخوارج والمعتزلة النصوص المحكمة والصريحة في إثبات الشفاعة لعصاة الموحدين بما تشابه عندهم من قوله تعالى : ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴾ [سورة المدثر : ٤٨].

وهكذا رد الرافضة النصوص المحكمة الواضحة في مدح الصحابة - رضي الله عنهم- وأن الله تعالى قد رضي عنهم ، وغفر لهم وتجاوز عنهم بما تشابه عندهم من قوله ﷺ : (لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض)[2]، ورد الخوارج النصوص المحكمة في موالاة المؤمنين ومحبتهم مع ما ارتكبوا من معاصي بما تشابه عندهم من نصوص الوعيد[3] وهكذا .

قال حماد بن يزيد : سمعت أيوب يقول :" ما أعلم أحداً من أهل الأهواء إلا يخاصم بالمتشابه"[4].

وتفرع عن اتباع المتشابه عند أهل الأهواء احتجاجهم باختلاف العلماء بحجة أن دين الله واحد ثم التذرع بذلك للإعراض عن الحق والسنة[5].

(١) الجبرية: هم الذين يزعمون أن العبد مجبور على فعله وليس له قدرة عليه وأنه لا فاعل في الحقيقة إلا الله ، وهم عكس القدرية النفاة ، وأصل قولهم هذا من الجهم بن صفوان ، وهم أصناف.

انظر: الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٩٧ ، والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٠٨ – ٢١٢ ، وشرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي ص ٥٢٧.

(٢) متفق عليه :

صحيح البخاري مع الفتح - كتاب المغازي – باب حجة الوداع ٧١١/٧ ، حديث (٤٤٠٥) .

ومسلم - كتاب الإيمان – باب بيان معنى لا ترجعوا بعدي كفاراً .. ٨١/١-٨٢ ، حديث (١١٨) .

(٣) انظر : منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة لعثمان حسن ٤٩٢/٢-٤٩٣ .

(٤) الإبانة لابن بطة ٦٠٩/٢ .

(٥) انظر : الأهواء والفرق ، ص ١٣٦ .

٦- ومن مناهجهم في الاستدلال إدعاء التعارض بين النقل وبين ما عندهم من عقليات وفلسفات كما هو عند المتكلمين عموماً ، أو معارضاً لما يسميه الصوفية الكشف والذوق ، ومن هناك ردوا الدليل السمعي وقالوا : لا يستدل بالسمع على الشيء من العلم الخبري ، وإنما يعرف الحق بنور إلهي يقذف في القلب ، ثم يعرض الوارد من السمع عليه ، فما وافق منه ما شاهدوه بنور اليقين على زعمهم قبلوه ، وما خالف أولوه ، وكما فعل المتكلمون من رد للدليل السمعي المخالف لقضية العقل ، وقس على هؤلاء الذين ردوا أدلة السمع لأنها تخالف ما وضعوه من قانون للسياسة[1].

وهذه الأمور جعلت من لوازم مذهبهم أن يكون نزول الوحي فتنة للناس ، واجهاداً لعقولهم وفهومهم ، فكان من الرحمة بالناس ألا يتزل عليهم الكتاب ، ومن الحكمة ألا تتلى عليهم آياته ، بل كان من صريح مذاهب بعضهم تفضيل الفيلسوف والولي والإمام القائم أو الإمام المنتظر على النبي ؛ لأن كلاً من الفيلسوف والولي والإمام يعلم الحق في نفس الأمر وأما النبي فهو لا يعلم الحق في نفس الأمر ، أو يعلمه لكنه خاطب الناس بغير ما يعلمه مصلحة لهم[2]. وهذا منتهى الفساد في الأقوال .

٧- إدعاءهم أن ظاهر النصوص غير مراد ، ومن هنا فهي لا تفيد اليقين من جهة دلالتها ، وهذا يؤدي إلا إبطال دين الإسلام بالكلية[3].

وبناء عليه أخرج المتكلمون كلام الله عن حقيقته المرادة والظاهرة من النص إلى المجازاة البعيدة والألغاز المعقدة ، ومن هنا ادعت الباطنية أن لكل نص ظاهراً وباطناً ومن هنا وجد المحرفون لكتاب مسوغاً لتحريفاقم قديماً وحديثاً ، فإذا ضاق عليهم المجال ، وغلبتهم النصوص من اضطرادها وعدم فهم العقلاء سواها ، ومجيئها على طريقة واحدة ، وتنوع الألفاظ الدالة على الحقيقة (المعنى الواحد) واختفائها بقرائن من السياق ، وكل ما يقطع به السامع بأن المراد هو حقيقتها الظاهرة من

---

(١) انظر : مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن قيم الجوزية ٢/٦٩-٧٠ ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ١/٣٦٧ وبعدها .

(٢) انظر : درء التعارض ١/٩-١٠ بتصرف .

(٣) انظر : مختصر الصواعق المرسلة ، اختصره محمد الموصلي ٢/٣٣٥ ، دار الندوة الجديدة ، طبعة عام ١٤٠٥هـ .

النص ، قالوا : الواجب ردها وعدم الاشتغال بها ، وإن أحسنوا العبــارة قــالوا : الواجب تفويضها ، وأن نكل علمها إلى الله تعالى[1].

وهذا الادعاء يلزم منه لوازم باطلة منها : كون الكتاب والسنة قد نُصبتا لإضــلال الخلق ، ومنها أن يكون الله تعالى قد ترك بيان الحق والصواب و لم يفصح به بل رمز له بما لا يفهم ، وأن يكون الله تعالى دائماً متكلماً بما ظاهره خلاف الحق ، ومنها تجهيل السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من أهل العلم والإيمان وغيرها من اللوازم الباطلة[2].

٨- دعواهم أن النصوص لا تفي بالدين وتفصيلات العقائد : قال شــيخ الإســلام :" والمتكلمون من الجهمية والمعتزلة والأشعرية ونحوهم ممن سلك في إثبــات الــصانع طريق الأعراض يقولون : إن الصحابة لم يبينوا أصول الدين بل ولا الرسول ، إمــا لشغلهم بالجهاد أو لغير ذلك"[3]. ومن المبتدعة من يظن أن الرسل ما كانوا يعلمون حقائق العلوم الإلهية والكلية ، وإنما يعرف ذلك من يعرفه من المتفلسفة ويقولون : خاصة النبوة هي التخييل فقط ، وهذا قول القرامطــة[4] والإسماعيليــة وعمــوم الفلاسفة ، وآخرون منهم يعترفون بأن الرسول علم الحقائق لكن يقولون لم يبينها ، بل خاطب الجمهور بالتخييل في خطابه لا في علمه كما يقول ابن سيناء ، وآخرون يعترفون بأن الرسل علموا الحق وبينوه لكن يقولون : لا يمكن معرفته من كلامهم

---

(١) انظر : منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد ١/٤٠٢، ٤١١ ، ٤٢٤ .

(٢) انظر : المرجع السابق ١/٤٢٢-٤٢٤ .

(٣) مجموع الفتاوى ١٥٩/١٩ .

(٤) القرامطة: هم فرع من فروع الإسماعيلية ، ينسبون إلى حمدان القرمطي الذي كان رجلاً متوارياً ، صار إليه بعض دعاة الباطنية ودعوه إلى معتقدهم فقبل منهم ثم صار يدعو الناس إليها فضل بسببه خلق كثير ، دخل الباطنية مكة عام ٣١٧هـــ واقتلعوا الحجر الأسود وقتلوا المسلمين في الحرم ، وهي فرقة تظهر التشيع لأهل البيت وتبطن الإلحاد والشيوعية والإباحية للقضاء على الدولة الإسلامية.

انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٨٢ والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٢٢٨ واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي ص ١٢٢.

بل بطريق آخر : إما المعقول عند طائفة ، وإما المكاشفة عند طائفة ، وإما قياس فلسفي وإما خيال صوفي ، ثم بعد ذلك ينظر في كلام الرسول فما وافق ذلك قبل ، وما خالفه إما أن يفوض وإما أن يؤول .

هذه أهم ملامح منهجهم في الاستدلال والتعامل مع الأدلة والنصوص .

ثانياً : مناهجهم في تقرير العقائد :

فإضافة إلى فساد استدلالهم عليها وبعده عن اليقين والصواب فإنهم أضافوا إلى ذلك المنهج الفاسد أموراً أخرى غاية في الفساد منها :

١- قولهم بالمجاز في العقائد مما يؤدي إلى هدم نصوص الشرع وتحريف كلام الله، ومعلوم أن أكثر العقائد غيبية وتوقيفية ، ولهذا كره السلف المجاز[١].

٢- استخدموا في تقريرهم لعقائدهم القياس الفاسد الإبليسي ، فإن إبليس لما حكَّم العقل على من لا يُحكم عليه العقل أجرى حكم الخالق في الخلق ، وحكم الخلق في الخالق ، والأول غلو ، والثاني تقصير[٢].

وهذا القياس ثارت منه عقائد الفرق كما يقول العلماء ، فمن الأول وهو إجراء حكم الخالق في الخلق خرجت مذاهب الحلولية[٣] ، والتناسخية[٤] والمشبهة ، والغلاة من الرافضة حيث غلو في حق شخص من الأشخاص حيث وصفوه بأوصاف الإله ، وخرج من الثاني وهو إجراء حكم الخلق في الخالق مذاهب

---

(١) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ٣٨ .

(٢) انظر : حجة إبليس لابن قيم الجوزية ، ص ٢٧ ، تحقيق : سليم الهلالي ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ .

(٣) الحلولية: مأخوذة من الحلول ومعناه: أن الله يصطفي أجساماً يحل فيها بمعاني الربوبية ، فيزيل عنها معاني البشرية ، وهم فرق شتى منهم النسطورية من النصارى وغالية الرافضة وبعض الصوفية.

انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٥٤ ، ومجموع فتاوى ابن تيمية ١٧٢/٢.

(٤) التناسخية: هم من الرافضة ، وهم الذين يقولون بتناسخ روح الإله في الأئمة ، ويرون أن علياً صار إلهاً حيث حلت فيه روح الإله ، تعالى الله عن ذلك،

انظر: مقالات الإسلاميين للأشعري ص ٤٦، و الملل والنحل للشهرستاني ١/ ٢٥٣ ، والفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٧٢ ، والتنبيه والرد للملطي ص ٢٢.

القدرية[1] ، والجبرية والمجسمة حيث قصروا في وصفه تعالى بصفات المخلوق ، وخرج منه كذلك المعتزلة مشبهة الأفعال ، وخرج منه مشبهة الصفات ، فإن من قال يحسن من الله ما يحسن من الخلق ويقبح منه ما يقبح من الخلق فقد شبه الخلق بالخالق ، ومن قال يوصف الباري بما يوصف به الخلق ، أو يوصف الخلق بما يوصف به الخالق فقد اعتزل الحق[2].

٣- انحرافهم في مفهوم التوحيد : فقد تعدد مناهجهم في ذلك وكلها ضلال :

- فعند الجهيمة ينتهي التوحيد إلى التعطيل الكامل للأسماء والصفات ، وعند المعتزلة نفي الصفات والأفعال ، وعند المتكلمين من الأشاعرة والماتريدية تأويل الصفات الخبرية ، ونفي أفعاله الاختيارية ، وعند الرافضة ينتهي إلى الشرك بدعائهم الأحياء والأموات ، والتعبد بزيارة المشاهد والقبور ، وصرف أنواع العبادة عندها ، وهو عند الصوفية ، إلا أنهم أضافوا إليه الآراء البدعية والغناء والرقص والقول بالاتحاد والحلول ، ووحدة الوجود ، وعند الباطنية الإلحاد والتعطيل والنفاق ، فهذا انحرافهم في حقيقة التوحيد[3].
- وانحرافهم كذلك في طرق تقريره ، فمنهم من بناه بطريق الحدوث والقدم ، كما فعل المعتزلة والأشاعرة والكلابية والكرامية ومن سلك سبيلهم[4]، ومنهم من قرره بطريق البرهان وهم غلاة الصوفية حيث يزعمون أن التوحيد يتحقق

---

(١) القدرية: هم نفاة القدر نسبوا إليه لنفيهم إياه بقولهم إن العبد هو الذي يخلق فعله ، عكس الجبرية ، وتطلق هذه التسمية على المعتزلة لأنها هي التي ورثت القول بهذه المقالة ، وأول القدرية – على الراجح – هو معبد الجهني المقتول سنة ٨٠هـ .

انظر: الفرق بين الفرق للبغدادي ص ١٨ – ١١٧، والملل والنحل للشهرستاني ١/ ٥٦ ، والتبصرة في الدين للأسفراييني ص ٦٣.

(٢) انظر : حجة إبليس ، ص ٢٨ .

(٣) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ٤٨-٤٩ .

(٤) انظر : مجموع الفتاوى ٢/٧ .

بالأحوال والخروج عن مقام العبودية حتى زعموا أن غاية التوحيد هو الخروج عن مقام العبودية والفناء في الله[1].

٤- يعتمدون في تقرير عقائدهم على أصولهم الفاسدة ، وقد يذكرون الدليل الشرعي للإعتضاد به لا للاعتماد عليه كما قال شيخ الإسلام :" وطريق أهل الضلال والبدع بالعكس يجعلون الألفاظ التي أحدثوها ومعانيها هي الأصل ويجعلون ما قاله الله ورسوله تبعاً لها فيردونها بالتأويل والتحريف إلى معانيهم "[2].

٥- اعتمادهم أيضاً على التلبيس في تقرير عقائدهم والدعوة إليها : ويبدءون هذا التلبيس بادعائهم أنهم أهل التوحيد ، والعدل وهذا واضح عند المعتزلة ومن تأثر بهم من الخوارج والشيعة ، حتى أنك تجد في كتبهم مثل هذه الألفاظ عنواناً للكتاب ، أو يسمون أنفسهم أهل الحق والدعوة وأهل الإسلام كما هو حال الخوارج ، أو يسمون أنفسهم بالأولياء كما فعلت الصوفية ، بل ربما تسموا بأهل السنة والجماعة كما فعل الأشاعرة والماتريدية ، أو أهل الاستقامة والنظر[3]، وتجدهم في المقابل يلقبون أهل السنة والجماعة بألقاب منفرة عن مذهب أهل السنة وهذه علامة أهل الباطل[4]، وسيأتي إيضاحها في السبب الثالث إن شاء الله.

ومن تلبيساتهم : استعمال الألفاظ المجملة والمحتملة من باب الاحتيال ، وإثارة الإشكالات ، ومنه قلب الحقائق والتلاعب بالألفاظ فيستعملون الألفاظ المجملة المحتملة في موضعها أو معناها الأصلي ، ويغفلون المعنى الشرعي لمفهوم هذه الألفاظ عند السلف مثل لفظ العدل جعلوه لإخراج أفعال العباد عن قدر الله تعالى ، والتوحيد للتعطيل .. وهكذا ، ومن هنا يلتبس الحق بالباطل على من لا يعرف مرادهم من هذه الألفاظ[5].

---

(١) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ٥٣-٥٤ .

(٢) مجموع الفتاوى ٣٥٥/١٧ ، وانظر : الأهواء والفرق ، ص ٤١-٤٢ .

(٣) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ٧٠ .

(٤) انظر : عقيد السلف أصحاب الحديث للإمام الصابوني ، تحقيق : ناصر الجديع ، ص ١٠٦-١٠٧ ، دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .

(٥) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ٧٢-٨٧ .

٦- ومن مناهجهم في تقرير العقائد الجمع بين المتناقضات في عقائدهم كما قال شيخ الإسلام :" بل تجد أحدهم يجمع بين النقيضين أو بين رفع النقيضين"(١)، ولهذا تجد المتأخرين من أهل الفرق ينقضون بعض أصول المتقدمين كالأشاعرة ، وبعضهم ينقض أصول الفرقة الأخرى كما فعلت الأشاعرة مع المعتزلة ، والفلاسفة مع الأشاعرة ويتجلى هذا التناقض في مسائل منها الرؤية ، وكلام الله تعالى والقرآن والصفات والقدر والإيمان ونحوها ، وهذا ولّد التناقض في عقائدهم(٢).

ثالثاً : مناهجهم في التعامل مع غيرهم فتقوم على ما يلي :

١- الخصومات والمراء في دين الله : قال ﷺ : (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أتوا الجدل) ثم قرأ قوله تعالى : ﴿ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ (٣) [سورة الزخرف : ٥٨] ، وقيل لأحد السلف : ما اضطر الناس على الأهواء ؟ قال : الخصومات(٤)، ولم يعرف الجدل والخصومة في الدين إلا بعد ظهور الفرق المبتدعة.

٢- شدة معاداتهم لأهل السنة والأثر واحتقارهم لهم ، كما قال أحد السلف :" ليس في الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أهل الحديث ، فإذا ابتدع الرجل نُزعت حلاوة الحديث من قلبه"(٥)، ومن هذا البغض لأهل السنة ظهرت مواقفهم العدائية لأهل السنة . فالخوارج يتدينون بقتالهم ويعاملونهم معاملة الكفار . والجهمية والمعتزلة

(١) الصفدية ٢٩٤/١ .

(٢) انظر : الأهواء والفرق ، ص ٨٩ .

(٣) رواه ابن ماجة في سننه ، المقدمة ، باب اجتناب البدع والجدل ١٧/١ ، حديث (٤٥) .
والترمذي – كتاب تفسير القرآن – باب ومن سورة الزخرف ٣٥٣/٥ ، حديث (٣٢٥٣) ، وقال : هذا حديث حسن صحيح .
والحاكم في المستدرك ٤٤٧/٢-٤٤٨ ، وصححه ووافقه الذهبي عليه .
وصححه الألباني في صحيح الترمذي ١٠٣/٣ .

(٤) الشريعة لأبي بكر محمد بن الحسين الآجري ، ص ٥٨ ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

(٥) عقيدة السلف أصحاب الحديث ، ص ٣٠٠ ، القائل هو ابن القطان .

امتحنوا أهل السنة وعرضوهم للتعذيب والسجن حين مال إليهم بعض السلاطين . والرافضة يوالون الكفار وينصرونهم على المسلمين وظهر هذا في أكثر من موطن ، وبقية المبتدعة دارت مواقفهم بين التكفير ولعن المخالف لهم من أهل السنة(١).

هذا تقريباً أهم سمات مناهج المبتدعة ، وهم قد توافقوا في غالبها ومن هنا تقاربت ميولهم وأهواؤهم ، وترتب على هذا التوافق في الأقوال والعقائد .

---

(١) انظر : مناهج أهل الأهواء ، ص ١١٠ .